العداء للسامية - هل سوف يظهر فى الولايات المتحدة ؟

لابد وأن ننظم أنفسنا لتحقيق هذه الغاية، علينا أولاً أن ننظم أنفسنا حتى يدرك العالم حدود وقوة رغبتنا للتحرر، وننظم أنفسنا ثانيا حتى تصبح مصادرنا معروفة ومتاحة.....

نظموا أنفسكم، نظموا أنفسكم ، نظموا أنفسكم، حتى ينهض كل يهودى وينضم إلينا أو أن يثبت أنه ــ عامدًا، أو غير عامد ــ من القلائل الذين يتخذون مواقف ضد ذويهم.

(لويس.دى. براونديس ، رئيس المحكمة العليا الأمريكية من كتابه "الصهيونية" صفحتي ١١٣-١١٤).

* * *

إن أى شخص يغامر بالكتابة عن المسألة اليهودية فى الولايات المتحدة أو خارجها، لابد وأن يكون على استعداد لأن يوصم بأنه معادٍ للسامية إذا ما استخدمنا اللغة الراقية، أما إذا استخدمت لغة سوقية فهو يوصف بكونه "من أعداء اليهود".

هذا المعادي للسامية ليس بإمكانه أن يطلب المؤازرة من الصحافة أو الناس، ذلك أن الأفراد الذين هم على دراية ومنتبهين للموضوع سوف يفضلون الانتظار لرؤية ماسيئول إليه الأمر. أما بالنسبة للصحف فربما لا توجد صحيفة فى الولايات المتحدة الأمريكية - وبالتأكيد كذلك فى الوسائل الإعلانية التى يطلق عليها مجلات- قد تجازف بالمجاهرة بحقيقة أن المسألة اليهودية موجودة بالفعل. ففى هذا الوقت تبدو الصحافة مليئة بالافتتاحيات التى تمدح كل ماهو يهودى (حيث يمكن الحصول على عينة من ذلك فى كل مكان تقريبا) ذلك فى الوقت الذى تهتم فيه الصحافة اليهودية ــ والتى هى موجودة بوفرة فى الولايات المتحدة ــ بمسألة القدح [ضد المتجاسرين].

ويبدو أن التفسير الوحيد المقبول ــ بطبيعة الحال ــ لأى نقاش عام حول المسألة اليهودية، هو أن هذا الشخص سواء كان كاتبًا أو ناشرًا ما هو إلا كاره

obeikan.com

للـــيهود، حتـــى لتبدو هذه الفكرة من الثوابت والبديهيات لدى الكثيرين، ومما لاشك فـــيه أنهـــا بمثابة قناعة ثابتة فى عقل اليهودى بحكم الوراثة، بل ويتم العمل على تثبيـــتها فى ذهن غير اليهود بواسطة الدعاية، وبلغ هذا الأمر حدَّ أن الكتابات التى لا تمـــدح كل ماهو يهودى توصم بكونها نابعة من مشاعر التحيز والكراهية، ولذا فهى مليئة بالأكاذيب والشتائم والغمز واللمز، وتشكل تحريضا على ارتكاب مذابح. هذه التوصيفات تطلق على عواهنها وتتفوه بها الافتتاحيات اليهودية.

وقـــد يبدو أمرًا ضروريًا بالنسبة لمواطنينا اليهود أن يوسعوا تصنيفهم للأغيار حتـــى يشـــمل تلك المجموعة من الأفراد التي تقر بوجود مسألة يهودية، ومع ذلك ليست معادية للسامية.

وهـــناك أربع فئات يمكن تتبعها فى مجتمعات اليهود أنفسهم: أولا أولئك الذين لـــديهم عاطفـــة مشبوبة للحفاظ على الحياة والديانة اليهودية، وذلك على حساب أى تضـــحية بالـــنجاح والشـــعبية، ثانـــيا أولئك الذين على استعداد لعمل أية تضحيات مطلوبة للحفاظ على الديانة اليهودية، غير أنهم ليسوا حريصين بالمثل على العادات والتقاليد للحياة اليهودية، وثالثا أولئك الذين ليس لديهم معتقدات قوية سواء فى الدين أو فى أسلوب الحياة اليهودية ولكنهم انتهازيون، وسوف يندفعون باتجاه النجاح، أما الفـــئة الرابعة فهم أولئك الذين يؤمنون والذين يعظون بأن الحل الوحيد للاختلافات بـــين الـــيهود وغيرهم من الأفراد هو أن يحدث اندماج تام بين اليهود وغيرهم من الفـــئات العرقية الأخرى، هذه الفئة الرابعة هى الحلقة الأضعف ولا تتمتع بالشعبية وأقل فئة يعتد بها بين الفئات الأربعة.

أمـــا بالنسبة للأغيار، فإنه حينما يتعلق الأمر بالمسألة اليهودية فيمكن تقسيمهم إلـــى فئتـــين فقط؛ أولئك الذين يكرهون اليهود وهم لا يعرفون لماذا، وأولئك الذين جـــبلوا علـــى العـــدل والوضـــوح بصرف النظر عن تقبلهم أو عدم تقبلهم لليهود، ويدركون المسألة اليهودية، على أنها ــ على الأقل ــ مشكلة. غير أن كلا الطرفين يتعرض أسلوبه للاتهام "بالعداء للسامية".

والعداء للسامية مصطلح فضفاض، ويجب أن يظل قاصرا على أولئك الأفراد المعـــادين بعصبية وعنف لليهود، أما إذا ما أطلق بلا تمييز على كل الذين يريدون مناقشـــة الخصائص اليهودية والقوة العالمية لليهود، فقد تصل فى وقت من الأوقات إلى كونها تهمة تسبغ الاحترام والشرف.

وحـتما ستصل معاداة السامية فى أشكال وصور مختلفة للولايات المتحدة، بـل إنه يمكن القول بأنها موجودة بالفعل الآن، أو كانت موجودة لفترة طويلة. أما إذا مـا أسـيء توصيفها ، فلن تكون الولايات المتحدة قادرة على إحداث تغييرات فـيها مـثلما أثـرت فى العديد من الأفكار التى وصلت إلى الولايات المتحدة فى رحلتها الكونية.

أولاً: ربما يكون من المجدى أن نوضح ما هو ليس معاداة للسامية:

١- الاعتـراف بوجود مسألة يهودية لا يعنى معاداة السامية؛ لأنه لو كان كـذلك لأمكـن القـول بأن غالبية الشعب الأمريكى معرض لأن يكون متهمًا بمعـاداة السامية، ذلك لأنهم بدأوا إدراك وجود مسألة يهودية، وسوف يتزايد أعداد أولئك الذين يصلون لتلك القناعة كلما أحسوا أن المسألة مفروضة عليهم مـن زوايا حياتهم المختلفة. المسألة اليهودية موجودة إذن. ربما نعمى أنظارنا عـنها طواعية، وربما نصمت خجلاً عن تداولها، وربما حتى ننكر وجودها، ولكنها موجودة ، وحينما يأتي الوقت المناسب فسوف يعترف الجميع بوجودها. فـى الـوقت المناسـب لن يكون هذا الصمت المهذب للدوائر ذات الحساسية المفـرطة أو المهدَّدة، قويًا بما يكفى لكبت المشكلة. ولكن يجب التأكيد على أن الاعتراف بها لا يعنى- بأى حال من الأحوال- أننا نقود حملة كراهية وعداء ضـد الـيهود، إنه سيعنى فقط أن أحد الأنهار المتدفقة عبر حضارتنا قد تراكم واكتسـب قوة كافية لأن يستدعى الانتباه و ضرورة عمل شيء ما حياله، بل والمطالـبة بتبنى سياسة ما لن تكرر أخطاء الماضى، وقطع الطريق على أية أخطار اجتماعية مستقبلية .

٢- إن نقاش الرأى العام حول المسألة اليهودية لا يجب اعتباره من قبيل معـاداة السامية. وقد تكون الدعاية أمرًا صحيًا، ولكن تلك الدعاية التى ركزت علـى المسألة اليهودية أو بعضٍ من نواحيها فى هذه البلاد مضللة، ورغم أن المسـألة اليهودية كانت محلاً للنقاش فى الصحافة اليهودية أكثر مما كانت فى الصـحافة الأخـرى، إلا أن هذا النقاش لم يتسم بالرؤية العميقة أو الصراحة، ذلـك أن الفكـرتين المسـيطرتين واللتـين يعاد تكرارهما مرة بعد أخرى فى الصـحافة اليهودية هى؛ ظلم الأغيار لليهود، والتحيز المسيحى. هاتان كانتا- علـى ما يبدو- الفكرتين الرئيستين اللتين انطبعتا فى النشر اليهودى. ويقال ـــ

بكل رصانة– إنه من حسن حظ اليهود– بصفة عامة– أن الصحافة اليهودية لا تـوزع بشـكل كبير بين القراء غير اليهود؛ لأنها تكاد تكون المنظمة الوحيدة فى الولايات المتحدة التى– إذا لم ندخل أي تغييرات على برنامجها– فقد تثير مشاعر معادية لليهود بين قرائها من غير اليهود.

فالكـتاب اليهود الذين يكتبون للقراء اليهود يقدمون مادة غير عادية تصلح لدراسة اهتمام اليهود الشديد بعرقهم، ذلك الاهتمام المصحوب باحتقار الأعراق الأخـرى. صـحيح أن هذه المطبوعات– التى يتم الإشارة إليها– تحتوى على عـبارات تكيل مديحا لأمريكا، لكن ليس باعتبار أنها أرض الشعب الأمريكى وإنما أمريكا أرض الفرص اليهودية.

أمـا فـيما يتعلق بالصحافة اليومية، فلم يكن هناك أي نقاشات جادة على الإطـلاق، وهـذا ليس بالأمر المستغرب أو الذى يستوجب الشجب ، ذلك أن الصـحافة اليومـية عـادة ما تتعامل مع الأمور العاجلة التي وصلت لنقطة الغليان. أما حينما تتطرق إلى موضوعات خاصة باليهود، أو تأتى على ذكرهم بشـكل بسيط، فهناك عدد من العبارات الجاهزة التى تبدأ بسرد قائمة بمشاهير الـيهود فـى الـتاريخ، وعادة ما تختتم بإشارات مديح لعدد من السكان اليهود المحليين الذين يتمتعون بسمات حسنة، والذين تُنشر إعلاناتهم بشكل متكرر فى صفحات أخرى من الجريدة.

واختصـارا يمكن القول بأن الدعاية التي تركز على المسألة اليهودية فى هذه البلاد تتكون من انتقاد محرف ومشوه للأغيار من قبل الصحافة اليهودية، ويقابـل هـذا النقد بمديح مشوه وغير ممثل لليهود فى صحافة الأغيار. لذا لا يمكن أن يؤدى أى مجهود مستقل لتقديم دعاية تؤدى إلى معاداة السامية، حتى لـو أن بعضًـا مـن العبارات التي تظهر أثناء البحث قد تثير غضب القراء اليهود.

٣– كمـا وأنه لا يمكن اعتبار أنه معاداة للسامية القول بأن هناك شكوكًا كبيرة ــ تقريبا ــ فى كل عاصمة من عواصم العالم، وهناك قناعة مؤكدة لدى عدد من الأفراد ذوي الأهمية، بأن هناك خطة نشطة تعد للسيطرة على العالم، لـيس مـن خلال حيازة الأراضى أو حتى من خلال العدوان العسكرى، ليس

بإخضـــاع الحكومات، ولا حتى من خلال السيطرة الاقتصادية بأساليب علمية، وإنمـــا مـــن خلال السيطرة على آليات التجارة والتبادل. ولا يجب أن نوصف بكونـــنا معاديـــين للسامية إذا قلنا ذلك وقدمنا الدليل على مانقول. أما بالنسبة لأولـــئك الـــذين يعترضون على ما نقوله – على اعتبار أنه غير حقيقي– فهم اليهود العالميون، ولكنهم لم يثبتوا خطأ ما نقول. وأولئك الذين يستطيعون تفنيد مـــا نقول هم اليهود الذين تشمل مثالياتهم جلب الخير للعالم كله وليس لجنسهم فقـــط، ولكنهم لم يفعلوا ذلك. وربما فى يوم ما سيظهر يهودى نبوى، وسيرى أن الوعود التي منحت لأجداد اليهود لن تتحقق من خلال طرق روتشيلد، وأن الـــوعد بـــأن كل الأمم ستتبارك من خلال شعب إسرائيل لن يتحقق من خلال تحـــويل الأمم إلى إقطاعيات اقتصادية لإسرائيل(*)؛ وحينما يحين الوقت ربما نأمـــل فى تغيير مسار الطاقة اليهودية لقنوات قادرة على استيعاب وامتصاص مصـــادر المســـألة اليهودية. غير أنه فى الوقت نفسه لا يجب اعتبار أن إلقاء الضوء على الدوافع التى تحرك الدوائر العالمية، فقط ليس معاداة للسامية، بل لربما يجب اعتباره خدمة عالمية لليهود.

إذا كانت الاقتراحات السابقة حقيقية، إذن فإن مصطلح معاداة السامية – الذي يطلق بدون تفكير على هذه السلسلة من المقالات– يكشف عن خيال سيء لأولـــئك المنـــتقدين أكثر من المؤلف، ولكن لنكتفى بهذا الأمر حيث إن هناك الكثيـــر الذى يمكن عمله، وما حدث لابد وأن يعتمد على القيمة المتبقية بعدما يتبادل العدو والصديق كلمات المدح والذم.

ثانيًا: لطالما ألقيت تهمة معاداة السامية جزافًا على أقسام كبيرة من البشر فـــى أوقـــات زمنية مختلفة، مما أدى إلى اعوجاج الرؤية وتشويه الشخصيات وتلطـــيخ أيدي ضحاياها، ولكن أكثر التعليقات التي تثير الدهشة عن ذلك، هو أنها لم تحقق أبدا أى شيء بالنسبة لأولئك الأفراد الذين استخدموها، كما وأنها لم تعلم أى شيء لليهود الذين استخدمت بسببهم.

إن درجات معاداة السامية عديدة ويمكن الإشارة إلى عدد منها :

١– هناك أولا هذه الدرجة من معاداة السامية، إذا جاز أن توصف بذلك،

(*) المقصود شعب إسرائيل ، أو بنى إسرائيل.

وهـى كـراهية واضـحة لليهودى بغض النظر عن شخصيته، هذا النوع من الكـراهية موجود لدى الأفراد بمختلف درجاتهم، ولكنه يتوافر أكثر بين أولئك الـذين لديهم صلات محدودة باليهود، وقد تعود مثل هذه الكراهية إلى مرحلة الطفـولة، وتتمثل فى كراهية غريزية لكلمة يهودى، وهى كراهية يتم تشجيعها بإسـاءة اسـتخدام كلمة يهودى تارة على أنها وصمة، وتارة أخرى على أنها صـفة تطلـق على ممارسات غير محبوبة. هذا الشعور لا يختلف كثيرا عن الشـعور الـذى يحس به اليهود تجاه الأغيار، حيث يعتنقون ذات التصورات ضـدهم غير أنه يختلف فى كونه يمتد ليشمل عرق اليهود كافة بدلا من أن يكون قاصرا فقط على الأشخاص المعروفين، مما قد يبرر ذلك الشعور.

القـبول هنا ليس خيارا بالنسبة لنا، ولكن التحكم فى مشاعر عدم القبول هـو الخيار. وكل إنسان عاقل مضطر بعض الأوقات لأن يرى بأن الشخص الـذى يشـعر تجاهه بكراهية قد يكون شخصا جيدًا وربما أفضل منه هو، هو يدرك أن هذه الحقيقة ليست مستحيلة ، فمن المعروف أن مشاعر الكراهية التي نحـس بهـا تجاه شخص، ما هى إلا نتيجة التجاذب أو التنافر بين ذات الفرد وشـخص آخر، وهى لا تعنى بالضرورة أن الشخص المكروه هو شخص لا قـيمة لـه. وبالطـبع إذا صاحب هذا الانسحاب الغريزى من عملية الاتصال الجماعي مع اليهود قدر من الذكاء والحصافة، فإنه عندئذ يتم إجهاض مشاعر التحامل ضد تلك الفئة العرقية، باستثناء أولئك الأشخاص الذين يعتقدون بأنه لا يوجد بين اليهود أفراد جديرون بالاحترام. هذا بالطبع موقف متطرف و يمكن أن نـرده إلى عوامل أخرى بالإضافة إلى الكراهية الطبيعية. ومن المحتمل أن يكره الناس اليهود، ومع ذلك لا يكونون معاديين للسامية. بالفعل هو أمر شائع، ويصـبح أكثر شيوعا حتى أن بعضًا من نخبة اليهود لا يستسيغون من جنسهم إلا النخبة المنتقاة.

هـذه الحقـيقة تتطلب بعض التعليق على سلوكيات وخصائص بعض من عامـة اليهود. وحوادث السلوك الأكثر بغضًا، والتى يكون اليهود أنفسهم أشد مـن ينتقدها بلاهوادة، ولكن هذه التعليقات لابد وأن توضع فى مكانها الصحيح لاحقا.

٢- المـرحلة الثانـية من مراحل معاداة السامية ربما توصف بالكراهية والعـداء. وتجـدر الإشـارة إلـى أن النفور الذى سبق الإشارة إليه آنفا ليس

كراهية، ذلك أن النفور غير الكراهية، وهو ليس بالضرورة عداء، فعلي سبيل المثال قد ينفر المرء من السكر فى الشاى ولكن هذا لا يعنى أنه بالضرورة يكره السكر. ولكن مما لاشك فيه أن بعض الناس قد سمحوا لهذا النفور أن يتحول إلى نوع من التحامل، وربما أيضا بسبب مرورهم بتجارب سيئة مع بعض اليهود (لقد قارب حوالى مليون شخص أمريكى أن يتحولوا إلى كارهين لليهود خلال هذا الشتاء بسبب اتصالهم بتجار وملاك أراضٍ يهود) وربما تم تصنيفهم على أنهم مازالوا فى أول الطريق لمعاداة الساميةً. وهذا أمر محزن بالنسبة للأفراد الذين لديهم مثل تلك المشاعر، إنه أمر محزن لأنه يجب أن ندرس بذكاء الحقائق التى تشكل المسألة اليهودية، وجدير بالعقل لأن يتعامل مع هذه الحقائق بشكل بناء وعادل، ولمصلحة المرء- مهما كانت الاستفزازات- ذلك أنه من المهم بمكان ألا ندع العاطفة تنحرف بالعقل ، لأنه إذا قادتنا الكراهية، فإن ذلك يعني أن المخاطر قادمة فى الطريق و العداء يعيش بين ظهرانى اليهود أكثر من أى فئة عرقية أخرى، وأسباب هذا العداء ربما يكون أحد الألغاز على مر العصور. فالطبيعة اليهودية ذاتها كما ظهر فى التاريخ القديم والحديث، لا يمكن إبراؤها من نصيبها من الكراهية، وهو إما يستدعى الكراهية أو يستفز الآخرين لإظهارها حينما يحدث اتصال بينه وبين أولئك الذين ينتمون للسلالة الآرية، والذين يأتون باستجابات عفوية دون التدقيق الثقافى والأخلاقى. هذا الصراع الذى استمر طويلا لليهودى قد حير عقول الدارسين لأجيال عديدة، البعض يفسره بالإشارة للكتاب المقدس (العهد القديم) من خلال لعنة يهوه لشعبه المختار بسبب عدم طاعتهم للنظام الذى من المفترض أن يكونوا بمقتضاه الأمة النبية للعالم. إذا كان لابد من ذلك الإثم، إذا كان ذلك جزءًا من الميراث اليهودى، فهناك القول المأثور ــ لدى المسيحيين واليهود، ومن الكتاب المقدس ــ " هناك الحاجة للإتيان بذلك الإثم، ولكن الويل لمن يأتى بذلك الإثم" .

وقد تحول هذا الشعور بالكراهية إلى عنف قاتل أثار فزع وغضب الإنسانية فى أنحاء مختلفة من العالم وفى عصور مختلفة. وتعد هذه إحدى الصور المتطرفة للتعبير عن معاداة السامية، وهى وتلك الأعمال العدائية، يشكلان التهمة التى توجه لكل من يناقش المسألة اليهودية، على أنه يحرض على مثل تلك الأعمال، هنا وفى أى دولة أخرى. بالطبع لا يمكن إيجاد أعذار لهذه الثورات، ولكن هناك تفسير كاف لها. اليهود عادة ما يفسرونها على أنها

تعبـــر عـــن تعصب دينى، أما بالنسبة للأغيار فهى لا تخرج عن كونها تمردًا ضـــد العـــبودية الاقتصـــادية التى يضربها اليهود على الناس. إنها حقيقة تثير الدهشة ، إذا أخذنا على سبيل المثال دولة واحدة، حيث إن المناطق فى روسيا التـــي شهدت حوادث عنف ضد اليهود كانت أكثر الأماكن رخاءً، وهى أماكن تتمـــتع بالـــرفاهية بشكل غير قابل للنقاش بسبب الشركات اليهودية، حتى أن الـــيهود هـــددوا صراحة بأن لديهم القوة لإعادة هذه الأماكن إلى حالة الخمول الاقتصـــادى التـــي كانـــت عليها إذا انسحبوا منها. ومن غير المجدى بمكان محاولـــة إنكـــار مـــثل هـــذه التوضيحات. ويؤيد ذلك الأفراد الذين ذهبوا إلى روســـيا يملـــؤهم غضب ضد مواقف الروس تجاه اليهود كما قرأوا عنها فى الصحافة الأنجلو- ساكسونية، ثم عادوا إلى بلادهم برؤية جديدة حول أسباب هـــذه الـــثورات والتـــى ـــــ رغم أنهم لا يبررون حدوثها إلا أنهم ــ صاروا يتفهمون أسباب حدوثها أكثر من ذي قبل. وقد وجد بعض المراقبين المحايدين أن بعضا من تلك الثورات كان سببها اليهود أنفسهم. أحد المراسلين المعروفين عالمـــيا بـــدفاعهم المستميت عن اليهود فى ظل الاضطهاد الروسى، كان دائما عرضـــة للهجـــوم مـــن قـــبل اليهود أنفسهم كلما ذكر الحقيقة فيما يتعلق بهذا الاضـــطهاد، وكان يحتج لديهم بأنه إذا لم يقل الحقيقة إذا أخطأوا فإن العالم لم يكـــن ليصدقه عندما يقول فى أحوال أخرى بأنهم غير ملومين. حتى هذا اليوم وفـــي كـــل البلاد ، فإن اليهود يبطئون فى الاعتراف بأنهم يجب أن يوجه لهم اللـــوم فـــيما يخص أى شىء، ذلك أنه لابد من إيجاد الأعذار لهم، بينما توجيه التهم يكون لأى شخص آخر. هذه واحدة من الصفات التي يجب عليهم تهذيبها قـــبل أن يقومـــوا بالمساعدة ــ إذا كانوا يستطيعون ذلك على الإطلاق ــ فى إزالـــة الخصـــائص الأخرى التي من شأنها أن تثير حفيظة الآخرين. وفى أى مكـــان آخـــر فـــى العـــالم لربما أمكن القول بأن أسباب العداء الشديد لليهود اقتصادية بالدرجة الأولى. هذا بدوره يقود إلى التساؤل عما إذا كان يجب على الـــيهودى أن يـــتعمد الفشـــل أو إنكار خاصيته [فى التفوق المالى] ويتناسي أحقيـــته فى الرخاء، وأن عليه أولا أن يحوز موافقة الفئات العرقية الأخرى- وهو سؤال سنتعرض له بالنقاش لاحقا.

أمـــا فـــيما يتعلق بموضوع التحامل الدينى والذى ــ بحكم القاعدة ــ فإن الـــيهود أكثـــر جهـــوزية لتأكـــيده، فيمكن القول باطمئنان إنه غير موجود فى

الولايات المتحدة. ورغم ذلك فإن الكتاب اليهود يتهمون به الأمريكيين ــ بكل حــرية ــ كما هو الحال مع الروس. وكل قارئ كفء غير يهودى يستطيع أن يقــرر هذا الموضوع بنفسه، وهو يمكنه فعل ذلك بأن يسأل نفسه إذا كان طيلة حــياته قد صادفته لحظة غضب ضد شخص يهودي بسبب ديانته. وفي خطاب ألقي فى أحد الفنادق اليهودية وكتب عنه فى الصحافة اليهودية ، قال المتحدث وهــو يهودي ، بأنه لو سئل مائة شخص من غير اليهود بشكل عشوائى سؤال من هو اليهودي، فإن جواب الأغلبية سيكون " إنه قاتل المسيح"، وقد ذكر أحد أكثــر الحاخامــات شــهرة واحتراما فى الولايات المتحدة فى إحدى العظات مؤخرا بأن الأطفال فى مدارس الآحاد المسيحية قد تم تلقينهم على أن يعتبروا الــيهودى هــو قاتــل المسيح، وقد كرر هذا الحاخام ذات العبارات فى سياق حديث بعد ذلك بأسابيع عدة. وربما يشهد العديد من المسيحيين بأنهم لم يسمعوا قــط بهــذا التعبير إلا حينما ورد فى شكوى يهودية وهم أنفسهم لم يستخدموه. هــذه الــتهمة لا تخلو من غرابة، ولندع العشرين مليون طفل الموجودين فى مــدارس الآحاد فى الولايات المتحدة وكندا بالإدلاء بشهاداتهم حول التعليمات المعطــاة لهــم حول هذا الأمر. **ولا نتردد فى القول بأنه لا يوجد تحامل فى الكنيســة المســيحية ضد اليهود بسبب ديانتهم. على العكس من ذلك تماما، فهناك ليس فقط شعور عميق بأنهم يدينون لليهود، وإنما هناك أيضا إحساس بمشاركة اليهودي فى دينه. إن مدارس الأحاد التابعة للكنيسة المسيحية فى كل أنحاء العالم تقضي حوالي ستة أشهر من هذا العام لتدارس العبر الدولية مــن أسفار: القضاة ــ روث ــ صموئيل الأول ــ صموئيل الثانى ــ الملوك [أســفار العهد القديم من الكتاب المقدس] ، وفي كل عام هناك جزء مخصص لكتاب العهد القديم.**

وهــنا شــيء ما يجب على قادة الدين اليهودى دراسته بإمعان، ذلك أنه تــوجد مرارة شديدة نابعة من التحامل الديني بين صفوف اليهود ضد المسيحية أكثــر مما هو موجود فى الكنائس المسيحية فى أمريكا [ضد اليهودية]. إذا أخذنا على سبيل المثال الصحافة الكنسية وقمنا بمقارنتها بالصحافة اليهودية فى هــذه الناحــية، ولن يجد اليهودى إجابة عن ذلك؛ لأنه لا يوجد محرر مسيحى يمكنه أن يعتقد بأنه من المسيحية أو من الذكاء القيام بمهاجمة الديانة اليهودية، ورغــم ذلك فإننا إذا قمنا بمسح للصحافة اليهودية لمدة ستة أشهر، فسوف نجد

هجمـــات وتحيـــزًا دينـــيًا، بالإضـــافة لذلك فإن اليهودي الذى يعتنق المسيحية يمـــارس ضـــده تعصب مر، ويكاد يقترب الأمر من الثأر المقدس، فالمسيحى بإمكانه أن يكون مبشرا يهوديا وتحترم دوافعه، غير أن الأمر ليس كذلك حينما يصـــبح الـــيهودي مســـيحيًا. هذه العبارات تنطبق على اليهود المنتمين للجناح الأورثوذكســـى و الليبرالـــى من اليهودية. ذلك أن الديانة ليست هي التي تمنح الـــيهودى المكانـــة الـــيوم ، أنها أمر آخر. وبشكل لا يخلو من الرتابة يكرر الـــيهودى- كلمـــا علـــم بماهية المشاعر تجاهه- إنها بسبب ثلاثة أمور:أولها وأهمهـــا ديانـــته، وربما يكون من المريح بالنسبة له أن يعتقد أنه يعاني بسبب ديانته، ولكن ذلك أمر غير حقيقى، وكل يهودى حاذق يعرف ذلك.

كـــل يهـــودي يجـــب أن يعرف أنه فى كل كنيسة مسيحية، حيث تدرس النـــبوءات القديمـــة، فـــإن هـــناك اهتمامًا عظيمًا متناميًا بمستقبل شعب الله (الـــيهود)، وأن الوعود التي منحت لهم فيما يتعلق بوضعهم فى العالم ليست أمـــرا منســـيا، أن هذه النبوءات سوف تتحقق، كما وأن مستقبل اليهودى ــ وفقـــا للنبوءة التوراتية – مرتبط جوهريًا بمستقبل هذا الكوكب، وأن الكنيسة المسيحية فى جزء كبير منها ــ على الأقل بالنسبة للجناح الأنجليكانى والذى يندد به اليهود بشدة ــ ترى بأن إحياء مبدأ "الشعب المختار" لابد وأنه آت.

إذا عـــرفت جموع اليهود كيف أن تلك النبوءات المتعلقة بهم تدرس بشكل مـــن التعاطف والفهم فى الكنيسة، وأن القناعة والإيمان هو أن هذه النبوءات ستجد طريقها للتحقق، سيثمر عن ذلك خدمة يهودية عظيمة للمجتمع ككل، ولو أدركـــوا الكنيسة بشكل مختلف، لكانوا عرفوا أن الكنيسة لا تؤمن بأنها ستكون الأداة التى من خلالها يتم تحويل اليهود عن ديانتهم، وهى نقطة مضللة بالنسبة للكثيـــرين من القادة اليهود، وتثير شعورًا بالمرارة والحنق أكثر من أى شىء آخـــر، ولكن هذا التحول العقائدى يعتمد على أدوات وشروط أخرى، غير أننا لســـنا بصدد الحديث عن هذا الأمر فى هذا المقال، ولكن تجب الإشارة إلى أن مسيح اليهود هو الذى سيحقق ذلك وليس "الزيتونة الوحشية" أو الأغيار.

ومـــن المثيـــر للاهـــتمام أن هناك مرحلة من معاداة السامية لها علاقة بالـــدين، ولكـــن لـــيس بالطريقة التى ذكرت فى هذا المقال، حيث يوجد أفراد قلـــيلو العـــدد ولديهم ميول إلحادية ويقولون بأن كل الأديان زائفة، وهؤلاء ابـــتدعهم اليهود أنفسهم لغرض استعباد عقول الناس فى جميع أنحاء العالم

بخـــرافة ضـــعيفة، غير أن هذا الوضع لم يكن له أدنى تأثير على الموضوع الرئيسى، إنه غاية بعيدة.

ثالـــثًا: الآن، أيٌّ مـــن أعـــراض معاداة السامية تلك معرضة للظهور فى أمـــريكا ؟ إذا اســـتمرت اتجاهات ما بعينها كما هو من المؤكد أن تستمر، فى أى صـــورة سوف تتبلور المشاعر تجاه اليهود ؟ هى لن تكون بالتأكيد صورة العـــنف الجماعى، ذلك أن العمل الوحيد ذا الطبيعة الجماعية والذى هو ظاهر الآن يتمثل فى الوكالات اليهودية ذاتها، والتى تقف ضد كل شخص أو مؤسسة تجرؤ على إثارة انتباه الرأى العام للمسألة اليهودية.

١- ســـتأتى معـــاداة الســـامية لأمريكا حتما بحكم العادة، ذلك أن الأفكار والعواطـــف العالمـــية عـــادة ما تتجه غربا. وفى شمال فلسطين، حيث استقر الـــيهود أطـــول فتـــرة ممكنة، وحيث هم الآن موجودون بأعداد كبيرة، تظهر معـــاداة السامية بشكل حاد وواضح ، أما غربا فى ألمانيا فهى معروفة بشكل واضـــح، ولكن إلى فترات سيطرة الوكالات الألمانية الثورية، فإن الصور التى ظهـــرت مـــن خلالها معاداة السامية كانت تخلو من العنف، أما أبعد قليلا فى بريطانيا فهى واضحة، ولكن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى ضآلة أعداد اليهود نســـبيًّا فى الجزر البريطانية وتحالفهم مع الطبقة الحاكمة، فهو شعور أكثر منه حـــركة مـــنظمة. أمـــا فى الولايات المتحدة فهى ليست واضحة المعالم، ولكن تظهر نفسها فى صور من التململ والاضطراب والتساؤل، وفي الاحتكاك بين المـــيل الأمريكـــى التقليدى للعدالة وبين احترامه للحقائق الجافة. ولأن المسألة الـــيهودية ســـوف تمـــارس ضغوطا أكثر فأكثر، فإنها تلزم كل شخص بتدبر العـــواقب، وإهمـــال الاحـــتجاجات قصيرة النظر التي يقوم بها اليهود أنفسهم، للتأكد من أن المسألة اليهودية لن تظهر نفسها بين ظهرانينا فى أكثر صورها حيـــرة واضطرابًا كما حدث بالنسبة لأقوام آخرين. غير أنه من الضرورى أن نمسك بالمشكلة من بدايتها ونهذبها، إذا جاز لنا أن نقول ذلك، بمعني أن نستعد لها بما يمكننا من أدوات للتعامل معها بأسلوب من شأنه أن يكون نموذجًا لكل الدول الأخرى، وهذا أيضا من شأنه أن يمد الدول بالمادة العلمية اللازمة للحل الدائم. هذا الأمر يمكن أن يحدث فقط باستخدام ما يمكن أن نطلق عليه مجازًا: مصل الدعاية، وذلك للتنويه بالظروف التاريخية والثقافية التي كانت سائدة قبل أن تتخـــبط الأمـــم؛ لأنهـــم افـــتقدوا للوازع أو الوسائل التى يمكن من خلالها التوصل إلى جذور المشكلة.

٢- أمـــا الســـبب الآخـــر لاحـــتمال ظهور المسألة اليهودية فى الولايات المتحدة فسيكون بسبب التدفق الكبير المخطط لليهود لأمريكا. فالتقديرات تشير إلـــى أن هناك حوالي مليون يهودى من المقرر أن يدخلوا البلاد هذا العام، مما تـــزيد معه عدد السكان اليهود إلى حوالى ٤,٥٠٠,٠٠٠ . هذا لا يعنى بطبيعة الحـــال هجرة أفراد، وإنما أيضا هجرة أفكار. ولم يخبرنا أى كاتب يهودى قط بشـــكل منهجى ما هو تصور اليهودى لغير اليهود؟ كيف ينظرون إلى الأغيار حيـــنما يخلون إلى أنفسهم؟. غير أنَّ هناك إشارات حول هذا الأمر، ورغم أن المـــرء لا يـــود محاولة إعادة بناء التوجهات اليهودية نحو الأغيار، فإنه يجب على أحد اليهود أن يفعل ذلك لنا، ولكن إذا فعل ذلك لربما تعرض للعقاب من قبل ذويه إذا ما قام بعمله متعقبا الحقائق الدقيقة.

هـــؤلاء الناس يأتون إلى هنا بتصور أن الأغيار هم أعداء بالوراثة، كما أنه ربما لديهم أسباب جيدة للاعتقاد بأنهم سوف يصيغون سلوكهم بأسلوب مرتبط بهذا الاعتقاد، ولن يكون هؤلاء اليهود عاجزين كما يبدو عليهم. ففى بولـــندا التـــى ضُربت فى الحرب، يقدم فيها اليهود على أنهم قد سلبوا من كل ممـــتلكاتهم خـــلال الحرب، فهناك المئات الذين يحضرون يوميا أمام القنصلية [القنصـــلية الأمريكية هناك] ليرتبوا للقدوم هنا. هذه الحقيقة ذات مغزى، فرغم معانـــاتهم وفقرهم المعروف، هم مازالوا قادرين على السفر لمسافات طويلة، بـــل ويصـــرون على المجيء. ليس هناك أناس آخرون قادرون على تكاليف السفر بأعداد كبيرة مثل أولئك، ولكن اليهود قادرون. وسوف يتضح لاحقا أنهم ليســـوا محـــلا للصدقات، ذلك أنهم ظلوا قادرين على الطفو فوق سطح الماء خلال عاصفة دكت أناسًا آخرين، وهم يعرفون هذا الأمر بل ويجدون متعة فيه كما لو كان أمرا طبيعيا. وهم سيحضرون معهم ذات الأفكار التى اعتنقوها فى بلاد السكنى الحالية. قد يحبون أمريكا، ولكن سيحتفظون بأفكارهم تجاه أغلبية الشـــعب الأمريكـــى. وربمـــا يصبحون فى القوائم [الآتية لأمريكا] كروس أو كپولنديين، ولكنهم سيظلون يهودًا ذوى وعى يهودى كامل، وسيشعرون الناس بأنفسهم.

هذا الأمر من شأنه أن يكون ذا تأثير، وليس من قبيل التحامل ضد فئة عرقية

أن نعـد العدة لمواجهته، وأن نطالب اليهود الأمريكيين أنفسهم بوضع هذه الحقائق فى الاعتبار والمساهمة فى إيجاد حل للمشكلة.

٣- إن كـل فكـرة حكمـت أوروبا تعرضت لتحولات حينما نقلت للولايات المـتحدة، ولقـد كان انطبق هذا الأمر على أفكار مثل الحرية والحكومة والحرب، وسـيكون الأمر كذلك أيضا بالنسبة لفكرة معاداة السامية. إن المشكلة جلها تتركز هنا، وإذا كنا أذكياء ولم نتنصل منها ، سنجد حلها هنا. وقد قال أحد الكتاب اليهود حديـثا: " المجـتمعات اليهودية اليوم تعنى إلى حد كبير اليهودية الأمريكية... كل مراكـز اليهودية السابقة تقلصت خلال الحرب، وانتقلت تلك المراكز لأمريكا. " إن المشـكلة سـتكون مشكلتنا سواء شئنا أم لم نشأ، وعلينا أن نسأل أى طريق سوف نسلكه إذن؟ الكثير يتوقف على ما يمكن إنجازه قبل أن تتعقد المشكلة، وربما يمكن القـول بـأن أول الأعـراض التى ستظهر هى بمثابة غضب ضد نجاحات يهودية تجارية بعينها، وأكثر تحديدا ضد العمل الجماعي الذى حقق هذه النجاحات بالدرجة الأولـي. الأمـريكيون يـرون مشهدًا لأناس يعيشون بين ظهراني أناس آخرين، والمورمـون(*) لـم يكونوا كذلك على الإطلاق، وهم لن يحبوا ذلك على الإطلاق. فالمورمون قاموا بالخروج ؛ بينما إسرائيل تعود إلى مصر لإذلالها.

أمـا ثانـى الأعراض الذى مما لاشك أنه سيأخذ طريقه للظهور، فهو التحيز والتحـريض علـيه. قـد تكون الغالبية على حق ولكنهم ليسوا دائما عقلانيين، هذا التحيـز الموجـود الآن والمعترف به من قبيل اليهود والأغيار، وربما يصبح أكثر وضوحًا، مما يسبب قلقًا لكلا الجانبين؛ لأنه لا التحيز فى حد ذاته، ولا نتائجه يمكن أن تجلب حرية العقل التى هى السعادة.

ثـم يجـب أن ننظر بثقة لرد فعل من العدالة، وهنا سوف تنحنى المسألة كلها للطبـيعة الأمـريكية. إن العدالـة الغريـزية التى فطر عليه العقل الأمريكى تقدم

(*) طائفـة جديدة من المسيحيين الأمريكيين، ظهرت منذ أقل من قرنين على يد رجل يدعى النبوة ، ولهم سلسـلة من الأنبياء حتى اليوم، ولهم كتابهم المقدس ــ الذى توجد نسخة منه فى كل غرفة من غرف فـنادق ماريـوت، حيث إنه مورمونى ــ ويعتبرون أنهم الطائفة المسيحية الوحيدة التى على صواب، وكـل الآخـرين ضالون، ولهم مؤسساتهم التعليمية والتجارية والصناعية، وتقاليدهم المحافظة، فهم لا يدخنون السجائر، ولا يشربون حتى الشاى، ويتميزون بالترابط العائلى ــ مع السماح بتعدد الزوجات ــ والنجاح المالى والاقتصادى.

المساعدة لكل موضوع أثار الغضب الأمريكى، ذلك أن رد الفعل العفوى لنا لا يستمر طويلا؛ أما رد الفعل الأخلاقى والفكرى فإنه يعقب ذلك العفوى بسرعة، والمنطق هنا يقول بأن العقل الأمريكى لا يستطيع أن يتقبل بسهولة الحنق على أشخاص بعينهم، وسوف يبحث بتعمق، وهذا البحث المتعمق قد بدأ بالفعل فى بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، فنحن بطبيعتنا ووفق خصائصنا لا نتوقف عند حدود الأشخاص حينما تكون المبادئ فى مرمى النظر.

وبناءً على ذلك سيتم إجراء تحقيق للمواد، بعضا منها قد يقدم فى هذه السلسلة، وقد يتم إهمالها وتجاهلها لفترة ما من الوقت، ولكنها فى وقت ما مستقبلا ستكون مفتاحا لحل هذه الأزمة. وبناءً على (حتى ذلك الوقت) ذلك فإن جذور المشكلة سوف تظهر تحت الضوء ؛ لكى تموت مثل كل الجذور حينما تحرم من أماكن دفنها فى الظلام، وحينئذ فإن اليهود أنفسهم ربما يبدأون فى التكيف مع النظام الجديد على ألا يفقدوا هويتهم، وألا يخفوا طاقاتهم أو يخفضوا عبقريتهم، وإنما يحولون كل هذا إلى قنوات لمنفعة كل البشر من كل الأجناس، وهذا وحده من شأنه أن يبرر مزاعمهم بالتفوق. أن تتمكن فئة عرقية من تحقيق إنجازات فى المجال المادى مثلما حقق اليهود ــ مع التأكيد على تفوقهم الروحى ــ تستطيع إنجاز ذلك فى نفس الوقت بشكل أقل خسة وغير متحد للمجتمع.

اليهود لن يدمروا، كما وأنه لن يسمح لهم بالاستمرار فى الاستعباد الاقتصادى الذى فرضوه بمهارة على المجتمع، إنهم منتفعون بنظام هو ذاته عرضة للتغيير، ويجبرهم لاستخدام أساليب مختلفة وأكثر تعقيدا؛ ليبرروا مكانهم المناسب فى العالم.

(ديربورن إندبندنت، عدد ١٩ يونيو ١٩٢٠م)

* * *